

الحلقة السادسة والعشرون

سلسلة مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هل راودتك صديقي يوماً ما فكرة الانتحار؟ أرجو أن يكون جوابك بلا. لكن لماذا يفكر البعض بالانتحار؟ وهل وصلت بهم درجة اليأس من الحياة إلى هذا الحد حتى أنهم فكروا بالانتحار؟

أمأنا اليوم عدة تقارير عن الانتحار والعوامل التي قد تؤدي إليه، نبدأها بهذا التقرير الذي جاء تحت عنوان : شخص واحد ينتحر كل ٤٠ ثانية. أفاد تقرير جديد مثير للدهشة أن شخصاً واحداً في مكان ما من العالم ينتحر كل ٤٠ ثانية. وأوضح هذا التقرير الذي أصدرته منظمة الصحة العالمية، بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الانتحار، الذي وافق العاشر من شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٥، أن هذا يمثل حوالي مليون وفاة تحدث سنوياً في العالم. ومن المتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى مليون ونصف بحلول عام ٢٠٢٠.

وأشار الخبراء إلى أن الانتحار يشكل ما يقرب من نصف الوفيات العنيفة في العالم، إذ ظهرت حوالي ٦٠٠٣ حادثة انتحار ووفيات غامضة في بريطانيا وإيرلندا عام ٢٠٠٣، وهو ما يفوق عدد حوادث الطرق بأكثر من ثلاث مرات.

وفي تقرير آخر جاء تحت عنوان: مايو المشمس شهر الانتحار. يقول باحثون بريطانيون إن عدد الانتحارات يزيد في شهر مايو المشمس ليكون أكثر من أي شهر آخر، وهم يعتقدون أن الأمر راجع لحالة الطقس. وتقول مجموعة برايبوري المتخصصة في بحوث الطب النفسي إن الطقس المشمس الذي عادة ما يساعد الناس في التغلب على كآبتهم، يعطيهم كذلك القدرة على إتباع دوافعهم الانتحارية.

ويقول البروفيسور تومسون: " من السخرية أن يكون المنتفس الذي يمحو الكآبة عن الناس هو الذي يساعدهم على تنفيذ خططهم الانتحارية". ويضيف أن الناس الذين تخلصوا من كآبتهم ينتحرون أكثر ممن يعيشها ولو في أسوأ حالاتها، مما يفسر ارتفاع الانتحارات مع تحسن الجو. وختم هذا التقرير بالقول: إن فصل الربيع بداية حياة جديدة، لكن التناقض بين عالم تنفتح أزهاره وسواد العالم الداخلي الذي يعيشه المصاب بالاكتئاب، قد يكون صعب التحمل في كثير من الأحيان.

وفي تقرير آخر تحت عنوان: الديون تقود الفلاحين الهنود للانتحار جاء ما يلي: شهدت بعض المناطق في الهند حالات انتحار بين المزارعين بسبب عدم وفائهم بتسديد الديون المستحقة عليهم، والتي اضطروا للحصول عليها لتغطية النفقات الخاصة بأسرهم. وتقول نقابات المزارعين إن آلافاً من المزارعين الفقراء انتحروا في أنحاء البلاد خلال الأعوام الأخيرة. ومن بين هؤلاء حوالي منتي مزارع تخلصوا من حياتهم في ولاية كارناتاكا الجنوبية العام الماضي. واضح من أن عمليات الانتحار هذه أتت كنتيجة للإفلاس المادي.

لعل الأكثر غرابة هو ما جاء في هذا التقرير والذي كان تحت عنوان: تنامي شعبية الانترنت قد يؤدي إلى تزايد عمليات الانتحار الجماعي. فقد حذر خبير بارز في الطب النفسي في بريطانيا من أن تنامي شعبية الانترنت قد يؤدي إلى تزايد الاتفاق على تنفيذ عمليات انتحار جماعي. فقد عُثر على أربعة رجال قتلى في اليابان في شهر نوفمبر من عام ٢٠٠٤، فيما تشتهب الشرطة أنها أحدث حلقة في سلسلة عمليات انتحار جماعي، حصدت أرواح عشرات الأشخاص في العامين الماضيين. وبدا أن عمليات الانتحار الجماعي في اليابان، نظمها أشخاص لا يعرفون بعضهم جمعت بينهم الانترنت، وخططوا لقتل أنفسهم عبر مواقع خاصة بالانتحار على شبكة المعلومات الدولية.

وعلق الخبير البريطاني قائلاً: من أن ذلك قد يكون العلامة الأولى على اتجاه متنام. لأن شبكة الانترنت توفر للناس سبيلاً للتعرف إلى أشخاص آخرين يملكون اتجاهات التفكير نفسها. وأضاف إن ما حدث قد يكون أحداثاً منفصلة في بلد كان فيه بالماضي أعلى معدل للانتحار الجماعي.

حقاً، إنه لغريب أمر الإنسان، فنسبة الانتحار ترتفع عندما يأتي فصل الربيع، الذي هو فصل تفتح الأزهار، وبداية الطقس اللطيف المنعش الهادئ، والذي من المفروض أن يتخلص فيه الإنسان من كآبته. والأمر الآخر أن التقدم العلمي والمتمثل في شبكات الانترنت قد زادت من عمليات الانتحار الجماعي. أليس هذا أمراً مستغرباً يا أعزائي؟ فبدل أن يساهم التقدم العلمي في الحد من مآسي الإنسان نراه يزيد من حداثها.

لعل السبب الأساسي للانتحار كما لاحظنا هو الاكتئاب أي الشعور بالإحباط والفشل من الحياة، وفقدان أي أمل أو رجاء نحو المستقبل. وعندما يفقد الإنسان أي أمل نحو المستقبل، فلن يبقى أمامه سوى التخلص من حياته عن طريق الانتحار. لكن هل يفقد

الإنسان الذي لديه ثقة حقيقية بالله الخالق العظيم أملة في الحياة ورجاءه نحو المستقبل؟ بالطبع كلا. لأن الله الخالق هو منبع الأمل والرجاء، وهو أساس حياة الإنسان. وعندما نتجه إلى النبع فمعنى هذا، أن أملنا لن يخيب، ورجائنا لن ينضب.

لقد مرّ الرسول بولس باختبار اليأس من الحياة، حتى أنه كتب في رسالته معترفاً أنه بسبب الضيق الشديد فوق الطاقة الذي أصابه في آسيا (تركيا اليوم) قد وصل إلى درجة اليأس من الحياة. لكنه مع ذلك عاد واستأنف قائلاً: "لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات. الذي نجّانا من موتٍ مثل هذا وهو ينجّي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجّي أيضاً فيما بعد." (٢كورنثوس ١: ٩ و ١٠) أي أن الرسول بولس تخلّص من حالة اليأس هذه، عندما عاد وألقى نظره، أو رجائه، على الله الحي. الذي قال عنه أنه يقيم الأموات. وهو الذي نجّاه من الموت. وكان عنده كل الثقة والرجاء أنه سينجيه في المستقبل.

من هو رجاؤك يا صديقي؟ وعلى ماذا تتكل في حياتك؟ هل على المال الذي قد يندثر عندما تواجهك نكبة ما؟ أم على الأهل الذين قد لا يستطيعون مد يد العون والمساعدة لك؟ أم على الأصدقاء الذين قد يتخلون عنك في أية لحظة؟ إن الله المحب يا صديقي هو مصدر الأمل والرجاء لحياة كل واحد منّا. وعندما نثق به، ونؤمن أنه قد أحبنا، لا بل أرسل المخلص المسيح لكي يكفّر عن خطايانا، ويهبنا الغفران والحياة الجديدة، فلا بد أن نتخلص من كل يأس وقنوط، وننظر إلى الحياة نظرة مليئة بالتفاؤل والأمل.

قال المخلص يسوع المسيح إلى تلاميذه مرة: "الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلّمكم به هو روح وحياة.." (يوحنا ٦: ٦٣) أجل إن روح الله هو الذي يحيي أجسادنا. وكذلك كلمة الله الحية كما جاءت في الإنجيل المقدس هي مصدر الحياة الحقة. فإذا كنت يائساً يا صديقي من الحياة؟ أو تشعر بالفشل والخيبة تجاه أمور كثيرة في حياتك، لم لا تعود وتتنظر إلى الله الخالق المحب، وتؤمن بالمخلص المسيح، الذي سيبعث فيك الأمل، ويحيي رجائك من جديد.